

«الإمارات الأولى عربياً بالتراث غير المادي في «اليونسكو»



رفعت دولة الإمارات عدد عناصرها الخاصة والمشاركة المدرجة ضمن قوائم منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة «اليونسكو»، للتراث الإنساني غير المادي، إلى 14 عنصراً، متصدرة بذلك الدول العربية، ولتحتل المرتبة السابعة عالمياً من حيث عدد العناصر المدرجة في القائمة الأمامية. تعكس تلك المكانة، جهود الدولة في الحفاظ على التراث الإنساني الثقافي غير المادي، سواء الخاص أو المشترك مع أشقائها في المنطقة، وحرصها على صون العديد من الملفات التراثية غير المادية وتعريف الشعوب والثقافات العالمية عليها، باعتبارها ركائز أساسية في تكوين الهوية الثقافية للمجتمع الإماراتي والعربي على حدّ سواء.



قالت نورة بنت محمد الكعبي، وزيرة الثقافة والشباب: «الإمارات غنية بالكثير من الخيارات الثقافية التي تدرج في إطار التراث الثقافي الإنساني غير المادي، التي تشير إلى خصوصية فريدة وهوية مجتمعية أصيلة تمتدّ جذورها في

عمق التاريخ، وتتقاطع فيها مع منظومة عربية متشابكة من الثقافات المشتركة التي تشكل هوية واحدة وإراثاً إنسانياً نعتزّ به ونسعى لأن نصونه ونوثقه، ليكون شاهداً على نهج الأجداد وخصوصية عيشهم ورؤيتهم للمستقبل». وأضاف: «تعلّمنا من قيادتنا الرشيدة أن نعتزّ بتاريخنا ونفاخر العالم به، ونمضي جاهدين من أجل صونه والاعتناء به وبمقدراته، لهذا سعينا لأن نوثّق كلّ تلك الملفات ضمن قوائم منظمة اليونسكو لنحافظ عليها، ونجعلها ركائز للحوار والتقارب والاحتراف بتنوّعنا، فهذه الملفات هي البصمة التي تميّزنا عن غيرنا، وهي الثروة الأهم التي تشكّل هويتنا ودبلوماسيتنا الثقافية التي نحاور بها المجتمعات والثقافات الأخرى».

التعبير الحيّ المتوارث

تعرف «اليونسكو» عناصر التراث الإنساني غير المادي، بأنها كل ما يندرج تحت إطار التعبير الحيّ المتوارث من الأسلاف مثل التقاليد الشفهية، وفنون الأداء، والممارسات الاجتماعية، والطقوس والمناسبات الاحتفالية، أو المعارف والمهارات المرتبطة بإنتاج الصناعات الحرفية التقليدية. وتضم قائمة التراث الإنساني غير المادي الخاصة بالإمارات عناصر خاصة بهويتها الثقافية، بينما تشارك في عناصر أخرى مع محيطها الخليجي والعربي، حيث تضم «السدو، والتلي، والعازي، والرزفة، والأفلاج، وفنون الأداء مثل الرزفة والعيالة، والتغردة»، إضافة إلى: النخلة، والقهوة العربية، والخط العربي، والمجلس، وسباقات الهجن، والصقاره، والحداء. ولعبت دولة الإمارات دوراً فاعلاً في التعريف بتلك العناصر التي تمثل هوية ثقافية متكاملة انعكست بشكل مباشر في انتشارها.

«السدو»

يعد «السدو» أحد أنواع النسيج البدوي التقليدي الذي يميز حياة وثقافة أهل البادية، ويُستخدم في حياكة الخيام والسجاد ورجال الإبل، ويدخل في صناعته شَعَر الماعز وصوف الأغنام وتصنع منه البطانيات والسجّاد والوسائد وغيرها، ويُعدّ واحداً من أبرز الحرف التي لعبت دوراً أساسياً في تسليط الضوء على إبداعية الحرف اليدوية تاريخياً.

«التلي»

يمثل «التلي» واحدة من الحرف التقليدية العريقة التي تدخل في تشكيل وصناعة الأزياء النسائية المحلية، وقد أدرجت خلال الاجتماع الـ 17 للجنة الدولية الحكومية للدول الأطراف في اتفاقية صون التراث الثقافي غير المادي، التي عُقدت مؤخراً في مدينة الرباط المغربية. وحرصت الدولة على أن يكون للفنون التراثية حضوراً واضحاً ضمن الملفات التي سعت لأن تضمّها لائحة المنظمة وهي: «التغردة، والعيالة، والعازي، والرزفة».

«التغردة»

تعتبر «التغردة»، وهي مصطلح يطلق على الشعر الغنائي التقليدي في البادية - فناً تراثياً ونمطاً إبداعياً من أنماط الشعر المرتجل يعكس قريحة حداة الإبل ورعاة الأغنام، فيما تمثل «العيالة» وهي رقصة تقليدية من أكثر العروض الفنية انتشاراً في الدولة، أداءً فنياً ثقافياً تقليدياً يجتمع الرجال والصبية وهم يحملون عصي الخيزران الرفيعة ويتحرّكون بانسجام على إيقاع منتظم ورصيد يصدر من الطبول، وتخصص هذه الرقصات في المناسبات الوطنية والاحتفالات الأخرى.

«العازي»

أما «العازي»، فيمتاز بكونه لوحة فنية تراثية ثقافية يصدر من خلالها الشاعر بصوته القوي الجهوري بأبيات شعرية ويردها جواباً فريق من المنشدين الذين يحملون بنادق رمزية متكاتفين في صفوف خلف الشاعر الذي يحمل بدوره سيفاً، فيما تصنف «الرزفة» كفن تقليدي أصيل يجمع ما بين الأداء والشعر، ويتم خلاله ترديد أغنيات تملك معاني تمنح المستمعين والمشاركين شعوراً بأصالة الهوية والفخر بموروثهم.

«الأفلاج»

فيما يتعلّق بـ«الأفلاج» - وهي تصغير لكلمة فلج أي القناة المائية أو الجدول المائي الصغير، ويعدّ مصطلحاً متداولاً بين أبناء المحلي وسلطنة عُمان - فدولة الإمارات تمتاز باشتمالها على الكثير من هذه الأفلاج التي كانت منتشرة في منطقة العين والمنطقة الشرقية والشمالية والوسطى، واستخدمت في ريّ المزروعات وشكّلت ركناً أساسياً في حياة مزارعي تلك المناطق، حيث إن الأفلاج التي أدرجت في قائمة اليونسكو العام 2022 بمختلف قنواتها السطحية والجوفية كانت وسائل داعمة لنقل المياه من أعماق الأرض إلى سطحها، وهي تعود إلى عصور قديمة وتروي تاريخاً عريقاً للدولة.

جهود الإمارات

تعكس جهود الإمارات في الحفاظ على التراث الإنساني الثقافي غير المادي، حجم الأهمية التي توليها للمحافظة على المرتكزات الأصيلة التي تشكّل أساسات الهوية الوطنية للمجتمع المحلي والعربي على حدّ سواء، فاستشراف المستقبل بالنسبة للدولة يبدأ من الاهتمام بأصالة الماضي، وصون تاريخ الأجداد ليكون لدى الأجيال المقبلة ثروة لا تقدّر بثمن.